الوارث

٣٣

نشرة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

شوال ١٤٣٢
أيلول ٢٠١١





الحسين (عليه السلام) في مكة

الحلقة الثانية

كلامه عليه السلام مع مسلم

ثم طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل رحمه الله فدفع إليه الكتاب وقال عليه السلام له:

(إني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله). ثم عانقه وودعه وبكيا جميعا.

فخرجِ مسلم من مكة نحو المدينة مستخفيا لئلا يعلم أحد من بني أمية فلما دخل المدينة بدأ بمسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى ركعتين ثم خرج في جوف الليل وودع أهل بيته ثم استأجر دليلين من قيس، فأقبلا به، فضلاّ الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق خذه حتى تنتهي إلى الماء فماتا وذلك بالمضيق من بطن الخبيت.

كتاب مسلم إلى الإمام عليه السلام من الطريق وجوابه

فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى الحسين عليه السلام: أما بعد: فإني أقبلت من المدينةٍ معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلاَ واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن البيت، والسلام.

فأقبل - مسلم - حتى مرّ بماء لطيّئ، فنزل بهم ثم ارتحل منه، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ومعه أصحابه، فدخل دار المختار بن أبي عبيد، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام فبايعت الشيعة معه.

وكتب عبد الله بن مسلم، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى يزيد أنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين عليه السلام، فإنٍ كانٍ لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً.

كتابه عليه السلام لأشراف البصرة

وكتب الحسين عليه السلام إلى أشراف بالبصرة: مالك بن مسمع البكري، والأخنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر:

(أما بعد: فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا أصلحوا وتحروا الحق.

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله).

وقال السيد بن طاووس: وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتبا مع مولى له اسمه سليمان ويكنى أبا رزين، يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم: يزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي.

فجمع يزيد ابن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلما حضروا قال: يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟

فقالوا: بخٍّ بخٍ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً وتقدّمت فيه فرطا.

قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه.

فقالوا: إنّما والله نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي، فقل حتى نسمع.

فقال: إن معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد والله ففشل وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قصر حلم وقلّة علم لا يعرف من الحقّ موطئ قدمه.

فأقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على الدّين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه وقدمته وقرابته، يعطف على الصغي رويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكّعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، والله لا يقصّر أحد عن نصرته إلاّ أورثه الله الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وادّرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله.

فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلاّ خُضناها، ولا تلقى والله شدّة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد، فقالوا: يا أبا خالد إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا فامهلنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو عامر بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجبك، ومرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكضها، وقد ذلّلت لك رقاب بني سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهلّ رقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال:

(ما لك آمنك الله يوم الخوف وأ'زك وأرواك يوم العطش).

فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه.

وأما المنذر بن جارود فإنّه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد، لأنّ المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله، وكانت بحرية بنت المنذر بن جارود تحتد عبيد الله بن زياد، فأخذ عبيد الله الرسول فصلبه، ثم سعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأرجاف، ثمّ بات تلك الليلة، فلمّا أصبح استناب عليهم أخاه عثمان بن زياد وأسرع هو إلى قصد الكوفة.

ولما قرأ يزيد كتاب عبد الله بن مسلم وعمارة بن عقبة وعمر بن سعد، كتب إلى ابن زياد وولاّه على الكوفة، فخرج ابن زياد واستخلف أخيه في البصرة ونزل بالكوفة وقتل مسلم بن عقيل رحمه الله.

كلامه عليه السلام مع ابن عباس

وكان الحسين عليه السلام في مكة إذ جاؤوا أشخاص وتكلموا معه في أمر القيام وخروجه إلى مكة، منهم عبد الله بن عباس إذ جاءه فقال: يا بن عم، قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟

قال عليه السلام:

(إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى).

فقال له ابن عباس: فإنّي أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك سر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك!

فقال له الحسين عليه السلام:

(وإني أستخير الله وأنظر ما يكون).

فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدّثه ساعة ثم قال: ما أدري ما تكرنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين عليه السلام:

(والله لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله).

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها!

ثم إنه خشى أن يتّهمه فقال: أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده.

فقال الحسين عليه السلام:

(ها إنّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لا يعدلوه بي، فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له).(1)

---

(1) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣١٣ ـ ٣١٩.

معرفة الله فطرية

الحلقة الثانية

ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه جاء إليه شخص وطلب منه أن يعرّف له الله كأنّه يراه، فسأله الإمام:

(هل سافرت في البحر؟).

وكأن الإمام عليه السلام يعلم بأنّ هذه القصة قد جرت له.

قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: هل حدث أن تحطمت سفينتكم في البحر؟

قال: نعم لقد حدث هذا في سفرنا.

قال الإمام عليه السلام: هل وصلت إلى حدّ انقطع فيه أملك بكل شيء، ورأيت نفسك مشرفاً على الموت؟

قال: نعم لقد جرى هذا الأمر.

قال الإمام عليه السلام: أكان لك أمل في النجاة؟

قال: نعم كان لي أمل.

قال الإمام عليه السلام: لم تكن هناك وسيلة للنجاة فبمن تعلق أملك؟

وعندئذ عرف السائل وتذكر تلك الحال التي كان فيها وكأنه يرى شخصاً قد تعلق به قلبه.

هذهِ هي الحالة التي بيّنتها من قبل، فأحياناً ينصرف انتباه الإنسان عما سواه اضطراراً، فتعرض له هذه الحالة ويدرك علاقته القلبية بالله، ويستطيع الإنسان أن يقوم بهذا الشيء اختياراً، وحينئذ تصبح له قيمة.

فالاتّجاه والسلوك العرفاني الذي ترضاه الأديان الحقّة قائم على هذا الأساسِ، وهو أنّ الإنسان يقطع تعلقه تدريجيا بما سوى الله، ولا يكون معتمداً على غيره، ولكنّ هذا لا يعني أنه يختار العزلة ويسكن في غارٍ وإنّما يقطع تعلق القلب بالأشياء، فليكن بين أفراد المجتمع، وليعش مثل سائر الناس، ولكن قلبه يجب أن يكون مع الله دائماً.

إذا استطاع الإنسان أن يروض نفسه على مثل هذه الحالة فإنّه سيصبح من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام القائل:

(لم أعبد ربّاً لم أره).

وهو أثناء العبادة يدرك علاقة قلبه بالله، ومثل هذا الشخص لا توجد مسألة وجود الله مشكلة أمامه، وهو لا يفتّش عن دليل على وجوده تعالى، فهل رأيتم شخصاً يبحث عن دليل على وجوده هو؟ إن هذا الشخص الذي يفكّر ويدرس الأشياء ويقيم الدليل على المسائل العلمية والفلسفية، أهو يحتاج إلى دليل يقيمه على وجوده هو بنفسه؟

لماذا لا يريد دليلاً؟ لأنه يدرك ذاته بالعلم الحضوري، وكذا من يجد الله ويدرك علاقته الوجودية به سبحانه بالعلم الحضوري فإنّه لا يبقى مجال للسؤال بأنّ الله موجود أم لا، بل هو يرى وجود كلّ شيء آخر من خلال الأشعة المنبعثة من نور الله جلّ وعلا، وعندئذ يحقّ لهذا الشخص أن يقول: بك عرفتك، ونحن نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي أن الإمام السجاد عليه السلام يناجي الله عز وجل قائلا:

(بلك عرفتك وأنت دللتني عليك).

إنّ الشمس ترى بواسطة ذاتها، والنور يشاهد بنفسه، أما الأشياء الأخرى فهي ترى بوساطة النور، ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

(ألغيرك من الظهور ما ليس لك).

أي هل هناك ما هو أظهر منك حتى ترى أنت من خلال أشعّته؟ حاشا بل أنت أظهر من كلّ شيء، والأشياء الأخرى لابدّ أن ترى من خلال نورك.

ولهذا فإن أولياء الله يعرفون وجود الخلق بوساطة الله، أما الله سبحانه فإنهم يعرفونه بنفسه، ولما كانت دراستنا قرآنية فنحن نتساءل: هل ورد في القرآن ما يشير إلى هذه المعرفة الشهودية الفطرية؟

هل هناك آيات قرآنية يستفاد منها هذا الأمر أم لا؟

من المؤكد أنّ لدينا آيات متظافرة تدل على أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى منزلة يشاهد فيها الله، فالمؤمنون سيصلون إلى هذه المنزلة في يوم القيامة، أي أن جزاء أعمالهم سيكون رؤية الله ولقاءه والنظر إليه:

((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)).[١]

فهي مسرورة وتنظر إلى ربّها، وهذا التعبير: (إلى ربّها ناظرة) ونظائره كثير في الآيات القرآنية والروايات والأدعية والمناجاة، ولكن بحثنا عن أن هذه الرؤية تتم بصورة فطرية لجميع الناس، أما هذه المنزلة من العلم الحضوري التي يظفر بها أولياء الله فهي مكتسبة، وتنال بالرياضة والطاعة وعبادة الله.

وبحثنا يدور حول هذا السؤال: هل يوجد لون من الشهود الفطري للإنسان بحيث يكون جميع أفراده متمتعين به؟ وجوابنا عليه بالإيجاب، فنحن نرى أن القرآن يثبت هذا الأمر، ونستدل على ذلك بآيتين كريمتين، نتناول بالبحث كلاً منهما على حدة.

وقال تعالى:

((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)).(٢)

في هذه الآية يخاطب الله سبحانه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)) .

وهو تعبير شائع في اللغة العربية، فعندما يراد الأمر بالتركيز على شيء وحصر الانتباه فيه يقال: أقم وجهك إليه، أي اجعل وجهك مقابلاً له، كناية عن الاهتمام الشديد به، ويصبح معنى الآية: ركّز انتباهك بدقّة على الدين، ثم يتلوها قوله تعالى:

((فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا)).

والفطرة هي نوع الخلقة التي خلق الله الناس عليها، وهذا أيضاً لون من التعبير الشائع في اللغة الغربية وفي الأدب الفارسي، حيث تذكر في وسط الكلام جملة يظهر أنها غير تامة.

يقول المفسرون: إن هذا التعبير (فطرة الله) من باب الإغراء، وهي تعتبر تفسيراً وتحليلاً للجملة المتقدمة عليها، أي: قلت لك ركز انتباهك على الدين معناه تمسك بما تقتضيه فطرتك، ولا تقدم على ما يخالف رغبتك الفطرية، بل اتّجه نحو الدين وحافظ على الفطرة التي خلقك الله عليها، وحسب قول بعض المفسرين إنها تعني: الزم فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وبعد هذا يقول تعالى:

((لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ)).

أي أنّ هذا لون من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فمقتضى فطرتهم الاتّجاه نحو الدين، ثم يؤكد على أنه لا تظنّوا بأنّ هذا شامل لبعض الناس فقط، أو أنّ فطرة الإنسان كانت هكذا في أحد الأزمنة، كلاّ، (لا تبديل لخلق الله)، إن الله خلق الإنسان على هذا الشكل بحيث إنّ مقتضى فطرته الاتّجاه نحو الدين، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

وقدّم بعض المفسرين تفاسير أخرى لهذه الآية وحاولوا أن يستنتجوا منها بعض النتائج.

قال بعضهم: مفاد الآية الشريفة هو أنّ أحكام الدين ـ ولاسيما الجذري منها والأساسي ـ منسجمة مع الفطرة الإنسانية، فالكليات الموجودة في الدين أشياء تطلبها فطرة الإنسان، وليست هي مما ترفضها فطرته، إذن عندما تقول الآية:

((فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا)).

فالمقصود هو أنّ أحكام الدين وقواعده الأساسية موافقة لنوع خلقه الإنسان، فإذا وجدنا في الدين الأمر بعبادة الله فإن عبادته لا تخالف الفطر، بل هي رغبة في نفس الإنسان لا يشبعها إلا العبادة، وإذا رأينا الدين يوصي بمساعدة الآخرين وإقامة العدل والبعد عن الظلم، فإن في أعماق الإنسان شيئا يطلب هذه الأمور.

وكذا الأشياء المتعلقة بحياة الإنسان الاعتيادية كتجويز الطيبات وتحريم الخبائث، إنه شيء تقتضيه فطرة الإنسان:

((وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ)).(٣)

قانون الزواج مثلاً شيء موافق للفطرة، فإذا قام دين ما بتحريم الزواج مطلقا فقد جاء بما يخالف الفطرة، والإسلام لا يخالف الفطرة في جميع قوانينه.

إنّ هذا التفسير لهذه الآية، وحسب هذا التفسير تصبح عبادة الله ـ التي هي من أحكام الدين الإسلامي، بل أساس جميع الأحكام ـ موافقة للفطرة، وحسب هذا التفسير تعتبر العبادة أحد الأمور الفطرية المشار إليها في الآية، ويكون معنى الآية: ركّز اهتمامك على الدين الذي هو مجموعة من الأحكام والقوانين الموافقة للفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، ومن جملتها عبادة الله، إذن عبادة الله أمر موافق للفطرة.

التفسير الآخر للآية هو أنّ المقصود من الدين الموافق للفطرة هو التسليم في مقابل الله:

((إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ)).(٤)

والإسلام يعني الطاعة والانقياد، الإسلام هو التسليم: فالانقياد لله تعالى أمر فطري، ولا تريد الآية أن تقول إنّ جزئيّات الأحكام أو الأشياء أخرى موافقة للفطرة، كل ما يقول الله فنحن له مطيعون، فنحن عبيد أمام المولى ومنقادون لأوامره: (إن الدين عند الله الإسلام) فالدين عبارة عن أنك تصبح مطيعاً لله:

((إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)).(٥)

((وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)).(٦)

أسلم نفسك لله، هذا هو الدين، وهو أمر فطري، إذن يصبح معنى موافقة الدين للفطرة هو أن في أعماق الإنسان اتّجاهاً نحو عبادة الله.

وفي هذين التفسيرين يكون المقصود من الفطرية هو الاتّجاه الفطري، فكلاهما رغبة في عبادة الله والانقياد له، أمّا ما نحن فيه فهو الرؤية الفطرية، أي نحن نسأل: هل للإنسان معرفة فطرية بالله تعالى؟ وهل هي معرفة حضورية؟ وهل تستفاد هذه المعرفة من تلك الآية؟

أقول: إذا كانت هناك في فطرة الإنسان رغبة في عبادة الله، أيمكن أن لا تشير هذه الرغبة إلى متعلقها بشكل أولى؟ فإذا قلنا توجد رغبة في عبادة الله، إذن لابدّ أن تكون في فطرته معرفة له بدرجة أولى لأن المعرفة سابقة للعبادة، ونحن عندما نقول: في فطرة الإنسان ـ بمعناها العام الشامل للغرائز أيضاً ـ رغبة في الزواج، فإنّ الفطرة تشير إلى متعلقها، فعندما يشعر الإنسان بالحاجة إلى الزوج فهو يفهم ماذا يريد ومع من يحب المعاشرة والحياة.

وكذا عبادة الله عندما تصبح فطرية، أي عندما توجد رغبة في أعماقنا تدفعنا للخضوع أمام أحد فلابدّ أن تكون لنا معرفة بذلك الشخص، ولا يجوز أن نخضع أمام شيء لا نعرف عنه شيئاً، إن الفطرة تشير لنا أن الخضوع يكون أمام الكامل المطلق.

إذن عندما نقول: توجد في أعماق كل منا رغبة في الخضوع أمام الله والعبادة له، فمعناه أنّ هذه الرغبة تبحث عن موجود يتصف بالكمال المطلق، وأما إذا خضعت أنفسنا لغيره فلأنها لم تجد مطلوبها، لم تظفر بضالّتها فتبحث عن بديل للمطلوب، إذن في أعماق فطرتنا توجد معرفة الله، وإن كانت معرفة ضعيفة، ونحن بسبب هذا الضعف نشتبه في التطبيق.(٧)

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ و ٢٣.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٦) سورة لقمان، الآية: ٢٢.
(٧) معارف القرآن للأستاذ محمد تقي المصباح: ص٤١ ـ ٤٦.



كيفية ظهور العالم وفق كلمات وخطب نهج البلاغة

تعد مسألة كيفية ظهور العالم من أعقد المسائل التي واجهها العلماء والمفكرون.

فالمسألة المذكورة تعود إلى ما قبل مليارادت السنوات، ولعلها القضية التي لم تطرق فكر أحد; الأمر الذي حير كبار العلماء والمفكرين رغم الجهود المفنية والتحقيقات والفرضيات الضخمة التي توصلوا إليها في هذا المجال وبالتالي لم يكن أمامهم سوى الاعتراف بالعجز عن سير تحور هذه المسألة.

إلاّ أنّ روح حب الاستطلاع والتعرف على المجهول التي تسود الفكر البشري لم تدعه يقف مكتوف الأيدي حيال هذه القضية والصمت إزائها.

فالواقع أنّ لسان حال العلماء هو إننا وإن عجزنا عن بلوغ كنه هذا الموضوع، غير أننا نرغب برسم صورة في أذهاننا من شأنها إشباع حب تطلعنا واقتحامنا لهذا الأمر.

وبالطبع فانّ الآيات القرآنية والروايات الإسلامية قد اكتفت بإشارات مقتضية بالنسبة لهذا الموضوع; الأمر الذي لا يؤدي إلاّ إلى رسم صورة باهتة في الذهن لا ترقى إلى إماطة اللثام عن طبيعتها وكنه حقيقتها.

على كل حال فان العبارات الواردة في هذه الخطبة انّما تتناغم وما ورد في خطبته رقم ٢١١ التي قال فيها عليه السلام): «وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف يبسًا جامداً ثم فطر منه أطباقا ففتقها سبع سموات، بعد ارتتاقها».

من جانب آخر فقد شحنت الروايات الإسلامية بعدة أبحاث بهذا الشأن، والواضح أنّ أغلب هذه الروايات تنسجم وخطب نهج البلاغة الواردة بهذا الخصوص مع فارق جاء في أغلبها وهو تصريحها بأنّ الزبد أول شيء ظهر على الماء ثم انبعث منه البخار أو الدخان الذي كوّن السموات.

ولكن وكما أوردنا آنفاً فانه ليس هنالك من تضارب بين هذه العبارات، لأنّ المادة الأولى على الأقوى كانت عبارة عن غازات مائعية مضغوطة يصدق عليها وصف الماء والبخار والدخان بالنظر لمراحلها المختلفة.

والجدير بالذكر هنا هو أنّه ليس هناك من تضاد بين الروايات التي صرّحت بأنّ أول ما خلق الله الماء، أو الشيء الأول الذي خلقه الله كان نور النبي صلى الله عليه وآله أو العقل; وذلك لأنّ بعض الروايات تحدثت عن خلق عالم المادة بينما تحدث البعض الآخر عن خلق عالم المجردات والأرواح. كما يتبيّن عدم وجود التناقض بين ما أوردناه من مضامين الروايات وما صرّحت به الآية ١١ من سورة فصلت التي قالت: «ثم استوى إلى السماء وهى دخان».

الفرضيات السائدة بشأن العالم أبان نزول القرآن

الطريف أنّه كانت هناك نظريتين بشأن ظهور العالم في الوسط الذي نزل فيه القرآن. أو بعبارة أدق في العصر الذي نزل فيه القرآن :

نظرية «بطليموس»

التي سادت المحافل العلمية لخمسة عشر قرناً واستمرت حتى أواخر القرون الوسطى. وعلى ضوء هذه النظرية فانّ الأرض كانت مركز العالم وتدور حولها تسعة أفلاك; وهى أفلاك تشبه الأغطية البصلية وشفافة وبلورية ومتراكمة بعضها، وكان كل كوكب سيّار عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري وزحل في فلك، كما كان لكل من الشمس والقمر فلكهما.

واضافة إلى هذه الأفلاك السبع، هناك فلك يرتبط بالكواكب الثابتة المراد بالكواكب الثابتة هي تلك الكواكب التي تطلع معاً وتغرب معاً دون أن تغير مواقعها في السماء بخلاف الكواكب الخمس التي ذكرناها). وبعد الفلك الثامن; أي فلك الثوابت هناك فلك الاطلس الذي ليس له أي كوكب، أما مهمته فهي سوق العالم العلوي للدوران حول الأرض، وهو الفلك الذي يسمى أيضاً بفلك الأفلاك.

نظرية العقول العشرة

أمّا الفرضية الأخرى فهي الفرضية التي تستمد قوتها من فرضية بطليموس بشأن العالم وتفسره على أساس العقول العشرة.

وعلى ضوء هذه النظرية التي طرحها جمع من الفلاسفة اليونانيين فان الله لم يخلق بادئ ذي بدء سوى شيء واحد هو العقل الملك أو الروح العظيمة والمجردة التي اصطلح عليها بالعقل). وقد خلق هذا العقل شيئين هما العقل الثاني والفلك التاسع، ثم خلق العقل الثاني العقل الثالث والفلك الثامن، وهكذا خلق عشرة عقول وتسعة أفلاك، ثم قام العقل العاشر بخلق موجودات هذا العالم.

والواقع ليس هنالك من دليل على هذه السلسلة من الفرضيات، وهكذا هو الحال بالنسبة لفرضية بطليموس رغم ذلك فقد كانت هذه الفرضيات هي السائدة لقرون.

أمّا القرآن والروايات الإسلامية فقد رفضت الفرضية الأولى ـ فرضية بطليموس ـ كما رفضت الفرضية الثانية ـ فرضية العقول العشرة ـ: وذلك لأننا لم نر أثر لهما في الآيات والروايات المعروفة ـ ولا سيما في نهج البلاغة ـ. وهذا بدوره يمثل أحد الأدلة والشواهد على استقلالية القرآن وعظمة الأخبار الإسلامية واستنادها إلى الوحي لا إلى الأفكار البشرية، وإلاّ لاصطبغت بصبغتها.

وقد رأينا الانسجام التام بين كلام أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الروايات الإسلامية بشأن ظهور العالم. فالمحور الأصلي في الآيات القرآنية والروايات الإسلامية إنّما كان الحديث عن السموات السبع لا الأفلاك التسع ولا العقول العشرة، لكن من المؤسف أنّ قدماء شرّاح نهج البلاغة ـ ممن تأثروا بفرضية العقول العشرة ونظرية بطليموس بشأن ظهور العالم ـ قد سحبوا هذه الفرضيات على شرح نهج البلاغة فسعوا جاهدين لحمل الخطبة المذكورة عليها دونما أية ضرورة أو حاجة إلى ذلك; فهي لم تكن سوى فرضيات وقد ثبت بطلانها اليوم.

فقد أثبتت التحقيقات والمشاهدات العلمية وتجارب علماء الفلك عدم وجود فلك بالمعنى الذي ذهب إليه بطليموس، وأنّ الكواكب الثابتة والسيارة والتي يفوق عددها بكثير ممّا ظنه القدماء وأنّها تدور في فضاء خال وَ أنّ السيارات إنّما تدور حول الشمس لا حول الأرض والثوابت على المحاور الأخرى وأنّ الأرض ليت مركزاً للعالم فحسب، بل هي سيارة صغيرة من سيارات المنظومة الشمسية وهذه الأخرى منظومة صغيرة من بين ملايين بل مليارات منظومات العالم العلوي. أمّا أنصار فرضية العقول العشرة ورغم تأثرها بفرضية بطليموس ـ التي سلم اليوم ببطلانها ـ إلاّ أنّهم يستندون إلى قاعدّة من القواعد العقلية «والتي تصرح بان الواحد لا يصدر منه إلاّ واحد» لإثبات صحة فرضيتهم ولا نرى هنا من ضرورة للاستغراق في شرح هذه القاعدّة .

ولما كانت هذه القاعدّة تفتقر إلى الدليل من وجهة نظر أغلب العلماء، فانّ أسسها تعتبر جوفاء لا قيمة لها.

ما المراد بالسموات السبع؟

لم يقتصر الحديث عن السموات السبع على نهج البلاغة وخطبه فحسب بل سبقه القرآن الكريم للحديث عن هذا الموضوع. وهناك عدّة تفاسير أوردها العلماء القدماء بشأن السموات السبع، ولا نروح الخوض فيها جميعاً; إلا أن التفسير الوحيد الذي يبدو صحيحاً من بينها هو ذلك الذي قال بأنّ المراد بالسموات السبع هو المعنى الواقعي لهذه الكلمة; فالسماء هي مجموعة من الكواكب والنجوم في العالم العلوي، والسبع هو العدد سبعة المعروف ولا يراد به الكثرة، غاية ما في الأمر أنّ الذي نفهمه من الآيات القرآنية هو أن ما نشاهده من كواكب وسيارات ثابتة ومتحركة كلها مرتبطة بالسماء الأولى. وبناءً على هذا فان وراء هذه السماء العظيمة ستة سموات عظيمة أخر لم يتسنى لحد الآن للعلم البشري التوصل إلى معرفتها.

والآية السادسة من سورة الصافات تؤيد هذا المعنى: إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ).

كما ورد هذا المعنى في الآية ١٢ من سورة فصلت: وَزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ)، وجاء في الآية الخامسة من سورة الملك وَلَقَدْ زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ). والطريف في الأمر أنّ المرحوم العلاّمة المجلسي قد ذكر هذا التفسير ـ في بحار الأنوار ـ على أنّه إحتمال اقتدح في ذهنه، أو استنتاجه من الآيات والروايات كما يعبر عن ذلك اليوم.

وهنا لابدّ من القول بأنّ الأجهزة العلمية لم تتمكن حتى اليوم من إماطة اللثام عن هذه العوالم الست، إلاّ انّ الدليل لم يقم على نفيها علمياً، ولعل العلم يكشف أسرار هذا الموضوع مستقبلاً، بل أفادت كشوف العلماء الفلكيين أنّ هناك أشباحاً ترى من بعيد تفيد وجود عوالم أُخرى، على سبيل أوردت بعض المجلات الفضائية نقلاً عن المراصد الجوية المعروفة «بالومار» قولها: لقد تمكن ناظور مرصد بالومار من كشف ملايين المجرات التي يبعد بعضها عنا ألف مليون سنة ضوئية. لكن هناك فضاء عظيم ومهيب مظلم بعد تلك المسافة البالغة ألف مليون سنة ضوئية، غير أنّه يتعذر رؤية ما فيه من أشياء. ومما لاشك فيه أنّ ذلك الفضاء المهيب والمظلم يضم مئات الملايين من المجرات بحيث تكفلت جاذبيتها بحفظ البسيطة التي نعيش على وجهها. وما هذه الدنيا العظيمة التي تغص بمئات آلاف الملايين من المجرات إلاّ ذرة تافهة لا قيمة لها مقارنة بدنيا أعظم وأوسع ولسنا متأكدين لحد الآن من وجود دنيا أخرى عظيمة فيما وراء هذه الدنيا.

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ العوالم التي تمّ كشفها من قبل البشرية ورغم عظمتها وما تنطوي عليه من أسرار وأعاجيب ليست إلاّ جزءاً ضئيلاً من عالم ضخم عملاق، ولعل المستقبل سيكشف النقاب عن العوالم الست الأخرى.

كيفية علم الإمام عليه السلام بهذه الأمور

ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ عبارات الإمام عليه السلام بشأن ظهور العالم لم ترد بصيغة فرضية واحتمال أبداً، بل صورها عليه السلام وكأنّه يشهد ذلك الظهور، وهذا دليل على استناد علمه إلى خزانة علم الغيب الإلهي أو تعليمات النبي صلى الله عليه وآله التي تستند إلى الوحي حتى تحدث ابن أبي الحديد بهذا الشأن فقال: «إنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين، ويعلم العلوم كلها وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه عليه السلام». وكيف لا يكون الإمام عليه السلام)كذلك وهو القائل: «أنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض».[1]

---

(١)هذه المقالة مستلة من كتاب (نفحات الولاية فى شرح نهج البلاغة) تأليف: آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي المجلد الأول ص٩٢ ـ ٩٧.

حذف عمر (حيّ على خير العمل) و أثبتها الشيعة



كانت فقرة (حَيَّ على خير العمل) فصلاً من الأذان في عهد النبي صلى الله عليه وآله ، وعهد أبي بكر ، وقسم من عهد عمر ، ثم حذفها عُمر بحجة أن الناس قد يتصورون أن الصلاة خيرٌ من الجهاد ويتركون فتح البلاد ! واعترض عليه أهل البيت عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين ، وكان ابنه عبد الله بن عمر يؤذن بها !

وقد ألف عدد من العلماء رسائل في إثبات كونها جزءً من الأذان الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وعلمه إياه جبرئيل عليه السلام ، تزيد عن خمسين رسالة.

قال الفضل بن شاذان في (الإيضاح ٢٠١) : (ورويتم عن أبي يوسف القاضي ، رواه محمد بن الحسن وأصحابه ، عن أبي حنيفة قالوا : كان الأذان على عهد رسول الله وعلى عهد أبي بكر وصدر من خلافة عمر ينادى فيه : حيَّ على خير العمل. فقال عمر بن الخطاب : إني أخاف أن يتكل الناس على الصلاة إذا قيل : حي على خير العمل ويدعوا الجهاد ! فأمر أن يطرح من الأذان حيَّ على خير العمل).

وفي دعائم الإسلام (١ /١٤٢) : (وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه قال: كان الأذان بحي على خير العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وبه أمروا في أيام أبي بكر وصدر من أيام عمر ، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقيل له في ذلك فقال : إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه ! وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه ، والعامة تروى مثل هذا ، وهم بأجمعهم إلى اليوم مصرون على اتِّباع عمر في هذا وترك إتباع رسول الله صلى الله عليه وآله ! واحتجوا بقول عمر هذا ، وظاهر هذا القول يغني عن الاحتجاج على قائله ، وإنما أمر الله عز وجل بالأخذ عن رسوله صلى الله عليه وآله فقال : ((...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ...)) ، وقال : ((... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) ، وقال : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إتبعوا ولا تبتدعوا ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار!.

أفكان عمر عند هؤلاء الرعاع أعلم بمصالح الدين والمسلمين أم الله ورسوله ؟ وقد أنزل الله عز وجل في كتابه من الرغائب والحضَّ على الصلاة وعلى الجهاد ، وعلى كثير من أعمال البر ، ما أنزله ، وافترض فرائضه ! فهل لأحد أن يُسقط من كتاب الله عز وجل شيئاً مما حض به على فريضة من فرائضه ؟ أو هل وسع لأحد في ترك فريضة لأنه حض ورغب في غيرها أكثر مما حض ورغب فيها ؟! هذا ما لا يقوله عالم ولا جاهل ، ولا بلغنا عن أحد من الناس أنه توهمه... وفساد هذا القول أبين من أن يحتاج إلى الشواهد والدلائل... نسأل الله العصمة من الزيغ عن دينه والثبات على طاعته وطاعة أوليائه). انتهى.

وقال السيد شرف الدين في (النص والإجتهاد / ١٩٩) :

(وفي رواية أخرى أنه قال : أيها الناس : ثلاثٌ كنَّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة الحج ، ومتعة النساء ، وحي على خير العمل) ! وقد أنكر عليه في هذا أهل البيت كافة وتبعهم في ذلك أولياؤهم جميعاً ، ولم يقره عليه كثير من أعلام الصحابة وإخبارهم في ذلك متواترة).

وأورد القوشجي قول عمر : (ثلاثٌ كنَّ على عهد رسول الله وأنا أحرمهنَّ وأعاقبُ عليهنّ : متعة النساء ومتعة الحج وحيَّ على خير العمل ! ثم قال : إن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه ، فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الإجتهادية ليس ببدع).

وهو كلام عجيب حقاً فهل تحريم الرسول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ، كان رأياً واجتهاداً منه صلى الله عليه وآله حتى يعارضه القوشجي باجتهاد آخرين ؟!

وهل يصح اجتهاد عمر في مقابل النص القرآني والتشريع النبوي ؟!

وإذا كان عمر قد اجتهد في هذا الأمر ولنفرض أن الرسول صلى الله عليه وآله قد اجتهد فيه أيضاً نعوذ بالله من خطل القول ، فأيهما أحق أن يتبع ؟ وأيهما قال الله في حقه : ما آتاكم الرسول فخذوه ؟ وماذا على من ترك اجتهاد عمر لعمر

وأخذ بالنص القرآني والتشريع الإلهي الوارد على لسان النبي الأمي ؟!

وماذا يصنع القوشجي بقول الرازي : (إن ذلك يوجب تكفير الصحابة ، لأن من علم أن النبي (ص)حكمَ بإباحة المتعة ثم قال : إنها محرمةٌ محظورةٌ من غير نسخ لها ، فهو كافر بالله ؟! ومن الواضح أن القوشجي وصاحب المنار والرازي وغيرهم لم يستطيعوا أن يدركوا وجه العذر لعمر في إقدامه على تحريم المتعة وغيرها فتشبثوا بالطحلب ، بل صدر منهم ما فيه أيضاً نيل من كرامة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتصغير لشأنه من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون).

أقول : ومن يوم حرَّم عمر ما فرضه النبي صلى الله عليه وآله تحركت شرطة الخلافة لقمع كل مسلم يطيع النبي صلى الله عليه وآله ولا يطيع عمر! وما زالت شرطتهم وتهويلهم تطارد الشيعة باسم الدين الى يومنا هذا ! وكان مطلب الشيعة منهم أن يتركوهم يؤذنون في مساجدهم ومناطقهم كما يعتقدون ، ولم تفرض أي حكومة شيعية على أحد الأذان بحيَّ على خير العمل ! فالفرض والإجبار كان وما زال من عمل شرطة عمر والقبائل القرشية!.

شريط تاريخي لجهاد الشيعة من أجل سنة النبي صلى الله عليه وآله

كافح الشيعة عصوراً طويلة من أجل هذا الفصل من الأذان ، حتى صار الأذان بحيَّ على خير العمل علامةً للإمامية والزيدية والإسماعيلية ، وشعاراً يرفعه الثوار على الحكومات ! وهذا شريط تاريخي يوضح إصرار الشيعة على سنة النبي صلى الله عليه وآله ، وإصرار أتباع الخلافة على فرض سنة عمر بدلها !

١ : في سير الذهبي : ١٥ / ١٦٤ : (قلت : ظهر هذا الوقت الرفض وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والغرب بالدولة العبيدية ، وبالعراق والجزيرة والعجم ببني بويه ، وكان الخليفة المطيع ضعيف الدست والرتبة مع بني بويه ، ثم ضعف بدنه وأصابه فالج وخرس فعزلوه وأقاموا ابنه الطائع له ، وله السكة والخطبة وقليل من الأمور ، فكانت مملكة هذا المعز أعظم وأمكن... وأعلن الأذان بالشام ومصر بحي على خير العمل . فلله الأمر كله).

٢ : وفي تاريخ أبي الفداء / ٥٠٧ : (وفي هذه السنة (٤٤٤)كانت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة ، وأعادت الشيعة الأذان بحي على خير العمل ، وكتبوا في مساجدهم محمد وعلي خير البشر).

٣ : وفي النهاية : (١٢ /٩٦) : (وأعادت الروافض الأذان بحي على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد (في مساجدهم) في الجمعات والجماعات ، وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة وحوصرت دار الخلافة).

٤ : وفي النجوم الزاهرة : (٥ / ٢٨١): (وهي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فيها أزال السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق من حلب الأذان بحي على خير العمل وسب الصحابة بها ، وقال : من عاد إليه قتلته ،فلم يعد أحد).

أقول : لم يكن الشيعة يسبُّون الصحابة ، نعم كانوا وما زالوا يلعنون ظالمي أهل البيت عليهم السلام ، وهو مبدأ متفق عليه ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله ظالمي أهل بيته الطاهرين بأحاديث صحيحة عند الجميع ، بل لعنهم الله تعالى في صريح قرآنه بقوله : ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ❖ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)).

وقد استدل أحمد بن حنبل بهذه الآية على لعن يزيد ، وروى كبار محدثيهم تفسيرها ببني أمية ، لكن بمجرد أن يقول الشيعي لعن الله ظالمي آل محمد ، يقولون له إنك تقصد أبا بكر وعمر ! إنك تلعن وتسب وتشتم الصحابة ، ويصورون الشيعة كأن شغلهم الشاغل في ليلهم ونهارهم شتم الصحابة ! وغرضهم من هذا التهريج أن يمنعوهم من لعن ظالمي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ومضطهديهم وقاتليهم!

٥ : وفي (تاريخ أبي الفداء / ٥٠٣) : (وفيها (سنة ٤٤١) وقعت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وعظم الأمر حتى بطلت الأسواق وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم محيطاً بالكرخ ، وشرع السنية من القلابين ومن يجري مجراهم في بناء سور على سوق القلابين ، وكان الأذان بأماكن الشيعة بحي على خير العمل ، وبأماكن السنية الصلاة خير من النوم).

٦ : وفي (كامل ابن الأثير : ٩ / ٥٧٦ ، في أحداث سنة ٤٤٣) قال : (وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرْخ شرعوا في عمل باب السمَّاكين وأهل القلائين في عمل ما بقي من باب مسعود ، ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب محمد وعلي خير البشر ، وأنكر السنية ذلك وادعوا أن المكتوب محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر.

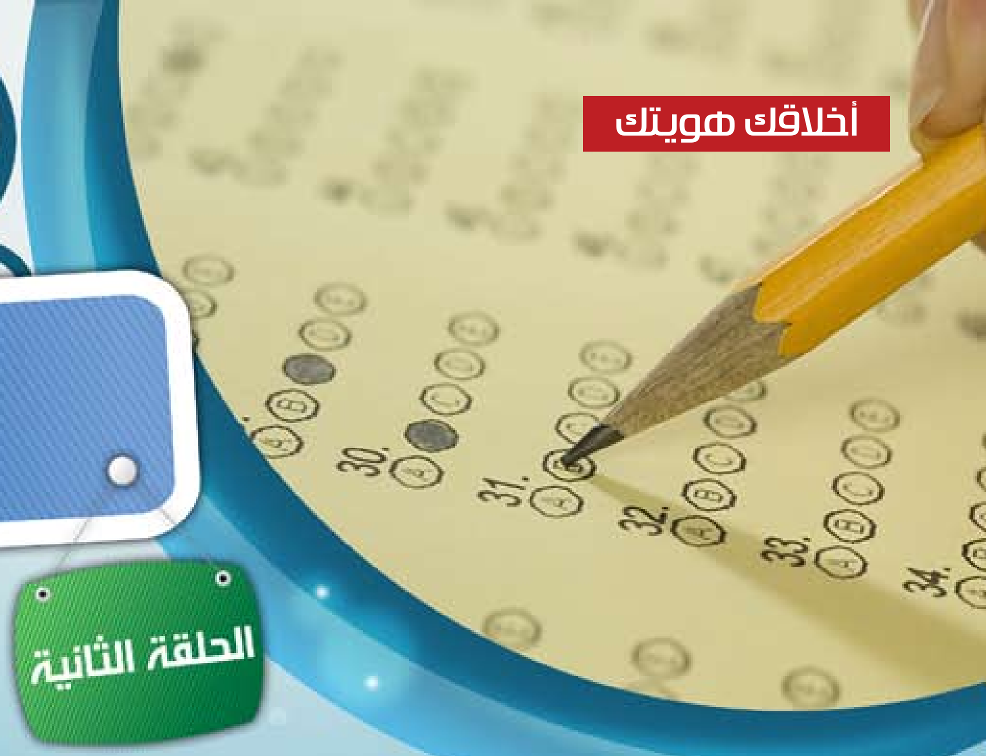
وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضي لكشف الحال وإنهائه ، فكتبا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا.

وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا خير البشر وكتبوا (عليهما السلام) فقالت السنية لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي وأن لا يؤذن حيَّ على خير العمل ! وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول.

وقصدوا (الحنابلة) مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا في سورها وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ، ونهبوا ما في الترب والدور وأدركهم الليل فعادوا.

فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما).[1]

(١)هذا البحث مستل من كتاب (كيف رد الشيعة غزو المغول دراسة لدور المرجعين نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي في رد الغزو المغولي) للشيخ علي الكوراني العاملي ص ٢٣٢ ـ ٢٥٠ .



أنواع الرذائل المتعلـ
بالقوة العاقلة

الحلقة الثانية

اليقين

صاحب اليقين يكون دائماً في مقام الشهود لديه والحضور بين يديه، فلا ينفك لحظة عن الحياء والخجل والاشتغال بوظائف الأدب والخدمة، ويكون سعيه في تخلية باطنه عن الرذائل وتحليته بالفضائل لعين الله الكالئ أشد من تزيين ظاهره لأبناء نوعه.

وبالجملة: من يقينه بمشاهدته تعالى لأعماله الباطنة والظاهرة وبالجزاء والحساب، يكون أبداً في مقام امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

ومن يقينه بما فعل الله في حقه من أعطاء ضروب النعم والإحسان، يكون دائماً في مقام الانفعال والخجل والشكر لمنعمه الحقيقي.

ومن يقينه بما يعطيه المؤمنين في الدار الآخرة من البهجة والسرور، وما أعده لخلص عبيده مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، يكون دائماً في مقام الطمع والرجاء.

ومن يقينه باستناد جميع الأمور إليه سبحانه، وبأن صدور ما يصدر في العالم إنما يكون بالحكمة والمصلحة والعناية الأزلية الراجعة إلى نظام الخير، يكون أبداً في مقام الصبر والتسليم والرضا بالقضاء من دون عروض تغير وتفاوت في حاله.

ومن يقينه بكون الموت داهية من الدواهي العظمى وما بعده أشد وأدهى، يكون أبداً محزوناً مهموماً.

ومن يقينه بخساسة الدنيا وفنائها، لا يركن إليها، قال الإمام الصادق عليه السلام في الكنز الذي قال الله تعالى:

((وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا)).[1]

«بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها».

ومن يقينه بعظمة الله الباهرة وقوته القاهرة، يكون دائماً في مقام الهيبة والدهشة، وقد ورد أن سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم كان من شدة خضوعه وخشوعه لله تعالى وخشيته منه تعالى بحيث إذا كان يمشي يظن أنه يسقط على الأرض.

ومن يقينه بكمالاته الغير المتناهية وكونه فوق التمام، يكون دائماً في مقام الشوق والوله والحب، وحكايات أصحاب اليقين من الأنبياء والمرسلين والأولياء والكاملين في الخوف والشوق وما يعتريهم من الاضطرابات والتغير والتلون وأمثال ذلك في الصلاة وغيرها مشهورة.

وفي كتب التاريخ والسير مسطورة، وكذا ما يأخذهم من الوله والاستغراق والابتهاج والانبساط بالله سبحانه، وحكاية حصول تكرر الغشيات لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في أوقات الخلوات والمناجاة وغفلته عن نفسه في الصلوات مما تواتر عند الخاص والعامة.

وكيف يتصور لصاحب اليقين الواقعي بالله وبعظمته وجلاله وباطّلاعه تعالى على دقائق أحواله، أني عصيه في حضوره

ولا يحصل له الانفعال والخشية والدهشة وحضور القلب والتوجه التام إليه عند القيام لديه والمثول بين يديه، مع أنا نرى أن الحاضر عند من له أدنى شوكة مجازية من الملوك والأمراء مع رذالته وخساسته أولاً وآخراً يحصل له من الانفعال والدهشة والتوجه إليه بحيث يغفل عن ذاته.

(ومنها) أن يكون مستجاب الدعوات، بل له الكرامات وخرق العادات، والسر فيه أن النفس كلما ازدادت يقيناً ازدادت تجرداً، فتحصل لها ملكة التصرف في موارد الكائنات.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب».

كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يمشي على الماء، فقال: «لو زاد يقينه لمشى في الهوى»، فهذا الخبر دلّ على أن الكرامات تزداد بازدياد اليقين، وأن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله متفاوتون في قوة اليقين وضعفه.

مراتب اليقين

وقد ظهر مما ذكر: أن اليقين جامع جميع الفضائل ولا ينفك عن شيء منها، ثم له مراتب: (أولها) علم اليقين، وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع ـ كما مرّ ـ وهو يحصل من الاستدلال باللوازم والملزومات، ومثاله اليقين بوجود النار من

مشاهدة الدخان.

(وثانيها) عين اليقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن، وهو أقوى في الوضوح والجلاء من المشاهدة بالبصر، وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«لم أعبد رباً لم أره».

بعد سؤال ذعلب اليماني عنه عليه السلام: أرأيت ربك؟ وبقوله عليه السلام:

«رأى قلبي ربي».

وهو إنما يحصل من الرياضة والتصفية وحصول التجرد التام للنفس، ومثاله اليقين بوجود النار عند رؤيتها عياناً.

و(ثالثها) حق اليقين، وهو أن تصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول، بحيث يرى العاقل ذاته رشحة من المعقول ومرتبطاً به غير منفك عنه، ويشاهد دائما ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار والآثار منه إليه، ومثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق.

وهذا إنما يكون لكمّل العارفين بالله المستغرقين في لجة حبه وأنسه، المشاهدين ذواتهم بل سائر الموجودات من رشحات فيضه الأقدس، وهم الصديقون الذين قصروا أبصارهم الباطنة على ملاحظة جماله ومشاهدة أنوار جلاله.

وحصول هذه المرتبة يتوقف على مجاهدات شاقة ورياضات قوية، وترك رسوم العادت وقطع أصول الشهوات، وقلع الخواطر النفسانية وقمع الجواجس الشيطانية، والطهارة عن أدناس جيفة الطبيعة، والتنزه عن زخارف الدنيا الدنية، وبدن ذلك لا يحصل هذا النوع من اليقين والمشاهدة:

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهّرتها بالمدامع

ثم فوق ذلك مرتبة يثبتها بعض أهل السلوك ويعبرون عنه بحقيقة حق اليقين والفناء في الله، وهو أن يرى العارف ذاته مضمحلا في أنوار الله محترقاً من سبحات وجهه، بحيث لا يرى استقلالا ولا تحصيلا أصلا، ومثاله اليقين بوجود النار بدخوله فيها واحتراقه منها.

ثم لا ريب في أن اليقين الحقيقي النوراني المبرّى عن ظلمات الأوهام والشكوك ولو كان من المرتبة الأولى لا يحصل من مجرد الفكر والاستدلال، بل يتوقف حصوله على الرياضة والمجاهدة وتصقيل النفس وتصفيتها عن كدورات ذمائم الأخلاق وصدأها، ليحصل لها التجرد التام فتحاذي شطر العقل الفعال، فتتضح فيها جلية الحق حق التضاح.

والسر أن النفس بمنزلة المرآة تنعكس إليها صور الموجودات من العقل الفعال، ولا ريب في أن انعكاس الصور في ذوات الصور إلى المرآة يتوقف على تمامية شكلها وصقالة جوهرها وحصول المقابلة وارتفاع الحائل بينهما والظفر بالجهة التي فيها الصور المطلوبة، فيجب في انعكاس حقائق الأشياء من العقل إلى النفس

١ـ عدم نقصان جوهرها، فلا يكون كنفس الصبي التي لا تتجلي لها المعلومات لنقصانها.

٢ـ وصفاؤها عن كدورات ظلمة الطبيعة واخاث المعاصي، ونقاؤها عن رسوم العادت وخبائث الشهوات، وهو بمنزلة الصقالة عن الخبث والصدأ.

٣ـ وتوجهها التام وانصراف فكرها إلى المطلوب، فلا يكون مستوعب الهم بالامور الدنيوية وأسباب المعيشة وغيرهما من الخواطر المشوشة لها، وهو بمنزلة المحاذاة.

٤ـ وتخليتها عن التعصب والتقليد، وهو بمثابة ارتفاع الحجب.

٥ـ واستحصال المطلوب من تأليف مقدمات مناسبة للمطلوب على الترتيب المخصوص والشرائط المقررة، وهو بمنزلة العثور على الجهة التي فيها الصورة.

ولولا هذه الأسباب المانعة للنفوس عن أفاضلة الحقائق اليقينية إليها، لكانت عالمة بجميع الأشياء المرتسمة في العقول الفعالة، إذ كل نفس لكونها أمراً ربانياً وجوهراً ملكوتياً فهي بحسب الفطرة صالحة لمعرفة الحقائق، ولذا امتازت عن سائر المخلوقات من السماوات والأرض الجبال، وصارت قابلة لحمل أمانة الله التي هي المعرفة والتوحيد.

فحرمان النفس عن معرفة أعيان الموجودات إنما هو لأحد هذه الموانع، وقد أشار سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم إلى مانع التعصب والتقليد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه».

وإلى مانع كدورات المعاصي وصدأها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض».

فلو ارتفعت عن النفس حجب السيئات والتعصب وحاذت شطر الحق الأول تجلت لها صورة عالم الملك والشهادة بأسره، إذ هو متناه يمكن لها الاحاطة به، وصورة عالمي الملكوت والجبروت بقدر ما يتمكن منه بحسب مرتبته، لأنهما الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المختصة بإدراك البصائر، وهي غير متناهية، وما يلوح منها للنفس متناه، وإن كانت في نفسها وبالإضافة إلى علم الله سبحانه وغير متناهية.

ومجموع تلك العوالم يسمى بـ(العالم الربوبي)، إذ كل ما في الوجود من البداية إلى النهاية منسوب إلى الله سبحانه، وليس في الوجود سوى الله سبحانه وأفعاله وآثاره، فالعالم الربوبي والحضرة الربوبية هو العالم المحيط بكل الموجودات، فعدم تناهيه ظاهر بين، فلا يمك للنفس أن تحيط بكله، بل يظهر لها منه بقدر قوتها واستعدادها.

ثم بقدر ما يحصل للنفس من التصفية والتزكية وما يتجلى لها من الحقائق والأسرار، ومن معرفة عظمة الله ومعرفة صفات جلاله ونعوت جماله تحصل لها السعادة والبهجة واللذة والنعمة في نعيم الجنة، وتكون سعة مملكته فيها بحسب سعة معرفته بالله وبعظمته وبصفاته وأفعاله، وكل منها لا نهاية له.

ولذا لا تستقر النفس في مقام من المعرفة والبهجة والكمال، والتفوق والغلبة تكون غية طلبتها، ولا تكون طالبة لما فوقها.

وما اعتقده جماعة من أن ما يحص للنفس من المعارف الإلهية والفضائل الخلقية هي الجنة بعينها فهو عندنا باطل، بل هي موجبة لاستحقاق الجنة التي هي دار السرور والبهجة. (٢)

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) جامع السعادات، للمحقق النراقي: ج١، ص٩٦ــ ٩٩.

ضرورة اتصاف الإ...
وان علمه الهي ل...

لماذا يجب أن يكون الإمام أفضل من جميع الأمة؟

أن مقتضى كون الإمام قائما مقام النبي في جميع شؤونه إلا تلقي الوحي ، هو تخلقه بأخلاقه واتصافه بصفاته ، إذ بدون ذلك لا يتم الاستخلاف والنيابة ، ومعه لا يتم اللطف ، وهو نقض للغرض ، ومخالف لمقتضى عنايته الأولى ورحيميته ، ونقض الغرض ، والمخالف لمقتضى عنايته تعالى لا يقع ولا يصدر منه أصلا كما لا يخفى . وتوضيح ذلك أنه قد مر في باب النبوة أن من أغراض البعثة هو استكمال النفوس ، فاللازم هو أن يكون النبي في الصفات أكمل ، وأفضل من المبعوثين إليهم حتى يتمكن له أن يهديهم ويستكملهم وينقاد الناس له للتعلم والاستكمال ، فإن كان النبي مبعوثا إلى قوم خاصين فاللازم هو أن يكون أفضل منهم في ذلك الزمان ، وإن كان مبعوثا إلى جميع الناس إلى يوم القيامة ، فاللازم هو أن يكون أفضل من جميعهم إذ لولا ذلك لما تيسرت الهداية والاستكمال بالنسبة إلى جميعهم ، مع أنهم مستعدون لذلك ، وهو لا يساعد عنايته الأولى وإطلاق رحيميته ونقض لغرضه ، وهو لا يصدر منه تعالى .

فإذا ثبت ذلك في النبي لزم أن يكون الامام أيضا أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ، ومن تدبير وعقل وحكمة وعلم وحلم وخلق ، لأنه قائم مقامه ونائب عنه في جميع الأمور والشؤون إلا في تلقي الوحي ، وهذه النيابة لا تتم إلا بالا تصاف المذكور ، ولعل إليه أشار المحقق اللاهيجي قدس سره حيث قال : لابد أن يكون الإمام في غاية التفرد في الاستجماع أنواع الكمالات والفضائل حتى تطيع وتنقاد له جميع الطبقات من الشرفاء والعلماء بحيث ليس لأحد منهم عار في الإتباع عنه والانقياد له) .

هذا مضافا إلى ما في تجريد الاعتقاد وشرحه (ص٣٦٦) من أن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، لأنه إما أن يكون مساويا لهم ، أو أنقص منهم ، أو أفضل ، والثالث هو المطلوب والأول محال ، لأنه مع التساوي يستحيل ترجيحه على غيره بالإمامة ، والثاني أيضا محال ، لان المفضول يقبح عقلا تقديمه على الفاضل .

ويدل عليه أيضا قوله تعالى : { أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}. ولذلك قال العلامة قدس سره في نهج الحق : (اتفق الامامية على أن الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته) .

وخالف الجمهور فجوزوا تقديم المفضول على الفاضل ، وخالفوا مقتضى العقل ونص الكتاب .

ويشهد لما ذكر ما سمعته عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام في ضمن حديث من (أن الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب). (الأصول من الكافي ج١ ص٢٠١) .

وقال أيضا : (للإمام علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى الناس ، وأحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأسخى الناس، وأعبد الناس ، ويولد مختونا ، ويكون مطهرا ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه).

في كيفية تعلم الإمام ، وأن علمهم علم إلهي وليس بمكتسب

كما أن علم النبي هو علم الهي وليس مكتسبا عن الناس، كذلك علم الإمام الهي وليس مكتسبا عن الناس، وتوضيح ذلك : أن هذا العلم الإلهي قد يصل إلى الأئمة عليهم السلام عدة طرق منها :

١ : من طريق النبي صلى الله عليه وآله كتعليمه ما علم لعلي عليه السلام وهو للحسن وهو للحسين وهو لعلي بن الحسين وهكذا إلى المهدي الحجة بن الحسن عليهم الصلوات والسلام.

ثم إن هذا التعليم وقع على أنحاء منها : التعليمات العادية كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسمعه علي عليه السلام كما سمعه الناس ، وإنما الفرق بينه وبينهم أنه عليه السلام أسمعهم وأحفظهم وأفهمهم وأضبطهم.

٢ : ومنها التعليمات الغير العادية مثل ما انتقل إلى علي عليه السلام بالإشراق وتنوير الباطن ، ولعل من ذلك ما في كتب الفريقين كالكافي وينابيع المودة من أن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب وكل

...مام بالصفات الإلهية
...ليس بمكتسب

باب منها يفتح ألف باب ، فذلك ألف ألف باب حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب). ولعل ذكر الألف من باب إفادة التكثير فلا خصوصية للألف .

أو مثل ما كتبه علي عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسمي بالجامعة ، قال الصادق عليه السلام : (فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش).

أو مثل ما انتقل إليه من ميراث الأنبياء والوصيين ، وسمي بالجفر ، قال الصادق عليه السلام: (هو وعاء من آدم ، فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، وفيه زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم) .

٣: وقد يصل العلم الإلهي إلى الإمام من طرق آخر كمصحف فاطمة وهو الذي أخبرها به جبرئيل فأملته فاطمة سلام الله عليها لعلي عليه السلام وكتبه بيده المباركة، قال الصادق عليه السلام: (مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ، ما فيه من قرآنكم حرف واحد) .

قال الصادق عليه السلام أيضا : (ليس من ملك يملك (الأرض) إلا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئا).

٤: وكتحديث الملائكة وقد ورد في روايات متعددة أن الأئمة محدثون كما قال أبو الحسن عليه السلام : (الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون) .

٥: وكإلهامات واقعية إلهية ، قال الحارث بن المغيرة : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (أخبرني عن علم عالمكم . قال : وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام قال : قلت : إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم قال : أو ذاك) .

٦: وكجعلهم مشرفين على الأمور ، كما ورد في الروايات المتعددة أن الإمام إذا شاء أن يعلم علم ، أو أن الإمام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، وغير ذلك .

في مقدار علم الأئمة عليهم السلام

وأنى لنا بهذا مع أن الأئمة فاقوا فيه الأولين والآخرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبلغوا فيه إلى حد لا يحتاج أحد إلى شئ من أمور دينه ودنياه وسعادته وآخرته إلا كان علمه عندهم ولهم الجواب ، وهم الدعاء إلى سبيل الخير والسعادة الواقعية ، وقد أرشدوا الناس طيلة حياتهم إلى الحياة الطيبة ، ولم يعطلوا في قبال سؤال ولو لم يكن من الأمور الدينية ، كما تشهد لذلك الأسئلة المختلفة التي جاءت إليهم من الموافقين والمخالفين والملحدين ، فأجابوها بأمتن الجواب وأحسنه . ولهم الإشراف على الأمور حتى النيات والأعمال ، وعلى ما وقع ، وعلى ما يقع ، وعلى منطق الطيور ، وعلى ما يحتاج إليه الجن وغيرهم . وإليك بعض الأحاديث الدالة على مقدار علومهم وفخامتها ، وإن كان الأمر واضحا كالنار على المنار .

١: عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال : (إن الله لا يجعل حجته في أرضه يسأل عن شئ فيقول لا أدري) .

٢: وعن سيف التمار قال : كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال : علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا ، فقلنا : ليس علينا عين ، فقال : ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات ، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما ، لان موسى والخضر عليهما السلام أعطينا علم ما كان ، ولو يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة) .

٣: وعن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : (لا والله ، لا يكون عالم جاهلا أبدا ، عالما بشئ جاهلا بشئ . ثم قال : الله أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ، ثم قال : لا يحجب ذلك عنه) .

٤: وعن الرضا عليه السلام في حديث : (أن الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه لدلالة اطلع عليها) .

وغير ذلك من الأخبار والروايات في ذلك متواترة ، وحيث كان صدورها عن المعصومين قطعيا ، صار موجبا لحصول اليقين بمفادها كما لا يخفى[1].

---

(١): بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية للسيد محسن الخزازي ج ٢ شرح ص٤٤ ـ ٤٩.

يحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعرف بابن بطريق

اسمه وسبب شهرته بابن البطريق

هو: يحيى بن الحسن بن الحسين من أعيان الطائفة المحقة ومحدثيهم ومن المتفانين في حب أهل البيت المقتفين آثارهم.

وال البطريق كما يقول السيد في (تأسيس الشيعة): (بيت جليل بالحلة من الشيعة الإمامية، بيت علم وفضل وأدب، اشتهر منهم صاحب الترجمة وابناه: علي بن يحيى ومحمد بن يحيى).

وقال في القاموس: (البطريق كالكبريت: القائد من قواد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل ثم الطرخان على خمسة آلاف ثم الفومس على مأتين).

وقال شيخنا المجيز الطهراني: (ولعل المؤلف من ولد البطريق الذي عده ابن النديم مع ابنه يحيى ابن بطريق من الربان المترجمين إلى العربية في عهد المنصور العباسي واليه تعزى ترجمة تيماوس لأفلاطون، فيكون انتماؤه إلى بني أسد بالولاء).

أقوال بعض العلماء فيه

١: قال الشيخ الحر العاملي: (الشيخ أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن البطريق الحلي، كان عالما، فاضلا، محدثا، محققا، ثقة، صدوقا).

٢: قال المتتبع الخبير عبد الله الأفندي التبريزي: (الشيخ الأجل شمس الدين أبو الحسين يحيى البطريق الحلى الأسدي، المتكلم الفاضل، العالم، المحدث الجليل، المعروف بابن البطريق: صاحب كتاب العمدة وغيره من الكتب العديدة في المناقب...الإمام الأجل شمس الدين جمال الإسلام، العالم الفقيه، نجم الإسلام، تاج الأنام مفتى آل الرسول).

٣: وقال الميرزا الاستر آبادي في رجاله الكبير: (يحيى بن الحسن... كان عالما فاضلا، محدثا، محققا، ثقة، صدوقا، له كتب...).

٤: وقال المحدث النوري: (الشيخ الأجل شمس الدين أبو الحسين أو أبو زكريا... مؤلف كتاب العمدة الذي جمع فيه ما في الصحاح الستة وتفسير الثعلبي ومناقب ابن المغازلي من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بحيث لم يغادر شيئا من ذلك ولم يذكر فيه شيئا من غيرها، ولم يسبقه إلى هذا التأليف البديع أحد من أصحابنا، ومؤلف كتاب المستدرك بعد العمدة، أخرج فيه قريبا من ستمأة حديث من كتب أخرى لهم، عثر عليها بعد تأليف العمدة، كالحلية لأبي نعيم، والمغازي لابن إسحاق، والفردوس لابن شيرويه الديلمي، ومناقب الصحابة للسهاني وغير ذلك من المؤلفات).

٥: قال السيد الصدر: (أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن البطريق الأسدي، المتكلم الفاضل، المحدث الجليل، المعروف بابن البطريق، يروى عن ابن شهر آشوب سنة خمس وتسعين وخمسمأة وهو صاحب كتاب العمدة في مناقب الأئمة والخصائص في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وهو أشهر من أن تشرح أحواله، من كبار شيوخ الشيعة رضي الله عنه).

٦: وقال الشيخ الطهراني: (الشيخ شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن ابن الحسين بن علي بن محمد الراوي عن محمد بن علي بن شهر آشوب في ٥٧٥ وقد أرخ في كشف الحجب وفاته سنة ٦٠٠ عن سبع وسبعين سنة، وهو صاحب كتاب العمدة المعروف بعمدة ابن البطريق وله « رجال الشيعة » الذي نقل عنه ابن حجر في (لسان الميزان) الذي كتبه في ما زاد على (ميزان الاعتدال) للذهبي).

هذا ما ذكره أعلام الإمامية في حق

المترجم له، فالكل متفقون على جلالة قدر الرجل في الأدب وغيره من الفنون الإسلامية.

٧: أما من علماء العامة فقد ترجم له ابن حجر في لسان الميزان نقلا عن تاريخ ابن النجار: (يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي الأسدي الحلي الربعي المعروف بابن البطريق، قرأ على أخمص الرازي الفقه والكلام على مذهب الإمامية وقرأ النحو واللغة وتعلم النظم والنثر، وجد حتى صارت إليه الفتوى في مذهب الإمامية، وسكن بغداد مدة، ثم واسط وكان يتزهد ويتنسك، وكان وفاته في شعبان سنة ٦٠٠ وله سبع وسبعون سنة).

وعلى ذلك يكون المترجم له من مواليد عام ٥٣٣، وقد نص بذلك الشيخ المجيز الطهراني لذلك في الثقات العيون ص ٣٣٨.

آثاره العلمية

ان حياة شيخنا المترجم له كانت مفعمة بالتأليف والتصنيف والتربية والتدريس فخلف آثارا مشرقة تدل على نبوغ الرجل وتضلعه في فنون الحديث والرجال، واليك أسماء ما وقفنا عليه منها في المعاجم وكتب التراجم:

١: (اتفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمة الإثني عشر) واسمه يحكى عن مسماه، وعنوانه يكشف عن محتواه.

٢: (تصفح الصحيحين في تحليل المتعتين) والمراد من المتعتين متعة الحج ومتعة النساء اللتين دلت نصوص بالكتاب والسنة على جوازهما في العصر النبوي، وبعده إلى أن نهى عنهما نهيا سياسيا، فبقيتا متروكتين بين أبناء السنة دون غيرهم.

٣: (خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) وقد قام بهذا التأليف بعد كتابي العمدة والمستدرك قال في الرياض: (ورأيت منه نسخة عتيقة بتبريز وعندنا منه نسخة قد أورد فيه أخبار المخالفين في تفسير الآيات التي نزلت في شأن علي عليه السلام).

٤: (الرد على أهل النظر في تصفح أدلة القضاء والقدر) ولعل الكتاب حول إبطال استنتاج نظرية الجبر من القول بالقضاء والقدر.

٥: (العمدة من صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي المختار صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الأطهار).

٦: (عيون الأخبار) قال في الرياض: (نسبه إليه المولى محمد طاهر القمي في مقدمة كتاب الأربعين نقلا عن كتاب الصراط المستقيم).

٧: (المستدرك المختار في مناقب وصي المختار) والكتاب استدراك لكتاب العمدة).

٨: (نهج العلوم إلى نفى المعدوم المعروف بسؤال أهل حلب).

٩: (رجال الشيعة) وينقل عنه ابن حجر في لسان الميزان كما مر.

مشايخه وأساتذته

قرأ شيخنا المترجم له على لفيف من علماء الفريقين واخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه. فمن الخاصة يروى عن عدة من الأعلام:

١: العالم الجليل الواسع العلم والمعرفة والاطلاع الشيخ عماد الدين الطبري صاحب كتاب (بشارة المصطفى).

٢: محمد بن شهر آشوب المولود عام ٤٨٨ والمتوفى عام ٥٨٨ صاحب المناقب والمعالم وغيرهما من المؤلفات.

هؤلاء بعض مشايخه من أعلام الطائفة، وأما مشايخه من العامة فقد ذكر أسماءهم عند ذكر طرقه إلى الصحاح الستة في مقدمة كتاب (العمدة) و (الخصائص)، واليك بعض من ذكرهم: ٣

٣: أبو جعفر اقبال بن المبارك بن محمد العكبري الواسطي.

٤: الشيخ الإمام المقرى أبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني.

٥: السيد يحيى بن محمد بن أبي العلوي الواعظ البغدادي يروى عنه تفسير الثعلبي الموسوم بالكشف والبيان في سنة ٥٨٥.

هؤلاء بعض مشايخه وأساتذة حديثه وقد أتى بأسمائهم وخصوصياتهم في مقدمة كتابي (العمدة والخصائص).

أولاده قدس الله روحه

خلف المترجم له ولدين كريمين فاضلين كان ابرزهما ولده (علي بن يحيى بن البطريق نجم الدين أبو الحسن الحلي الكاتب)، قال محمد بن شاكر في فوات الوفيات ما لفظه: (علي بن يحيى بن بطريق: نجم الدين أبو الحسن الحلي الكاتب، كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية، ثم اختلف حاله فعاد إلى العراق ومات ببغداد سنة اثنين وأربعين وستمائة وكان فاضلا أصوليا).

ويظهر من الشارح الحديدي وجود الخلطة والصداقة بينهما حيث ينقل عنه في شرحه ويقول: (كان صديقنا علي بن يحيى يحيى البطريق رحمه الله يقول: لولا خاصة النبوة وسرها، لما كان مثل أبي طالب وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه محمدا، وهو شاب قد ربى في حجره وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده... فان هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء، فإذا تصورت انه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم في محمد صلى الله عليه وآله وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجر غلاما وعلى عاتقه طفلا، وبين يديه شابا، يأكل من زاده، ويأوى إلى داره علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وان أمره كان عظيما، وان الله تعالى أوقع في القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانا جليلا).

وفاته قدس الله روحه

المشهور ان الشيخ ابن البطريق قد توفى عام ٦٠٠ عن عمر يبلغ ٧٧، وان الشيخ الطهراني قد عنون المترجم له في سادس القرون وذكر انه تولد عام ٥٣٣ وتوفى عام ٦٠٠.



المبغض يصبح محباً لأمير المؤمنين (عليه السلام)

محمد بن الحسن الصفار: عن أحمد بن محمد والحسن بن علي ابن النعمان، عن أبيه علي بن النعمان، عن محمد بن سنان يرفعه قال: إنّ عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل - علي عليه السلام - حتى أبعثه إليه.

قال: فأتيت به، فمثل بين يديها، فرفعت إليه رأسها، فقالت له: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟

قال لها: كثراً ما أتمنّى على ربّ إنّه (هو) وأصحابه لي وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدم.

قالت: فأنت له، فاذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ضاعناً رأيته أو مقيماً، أما إنّك إن رأيته راكباً على بغلة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - متنكّباً قوسه، معلّقاً كنانته على قربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنّهم طير صواف، فتعطيه كتابي هذا، وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإنّ فيه السحر!!

قال: فاستقبلته راكباً (كما قالت) فناولته الكتاب، ففضّ خاتمه، ثمّ قرأه، فقال: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا فنكتب جواب كتابك.

فقال: هذا والله ما لا يكون!

قال: فساد خلفه فأحدق به أصحابه، ثمّ قال له: أسألك؟ قال: نعم، قال: وتجيبني؟ قال: نعم.

قال - عليه السلام -: فنشدتك الله هل قالت: التمسوا لي رجلاً (شديد العداوة لهذا الرجل فأتي) بك، فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنّه وأصحابه في وسطي، وإنّي ضربت ضربة (بالسيف) يسبق السيف الدم؟

قال: اللهم نعم.

قال - عليه السلام -: فنشدتك الله، أقالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ضاعناً كان أو مقيماً، أما إنّك إن رأيته ركباً بغلة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - متنكباً قوسه، معلّقاً كنانته بقربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنّهم طير صوافّ (فتعطيه كتابي هذا)؟

قال: اللهم نعم.

قال - عليه السلام -: فنشدتك بالله، هل قالت لك، إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ (منه) شيئاً فإنّ فيه السحر؟

قال: اللهم نعمة.

قال - عليه السلام -: فمبلّغ أنت عنّي؟

فقال: اللهم نعم، فإنّي قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض (خلق) أحبّ إليّ منك، فمر لي بما شئت.

قال - عليه السلام -: ارجع إليها بكتابي هذا، وقل لها: ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك، فخرجت تردّدين في العساكر، وقل لهما: ما أنصفتما الله ولا رسوله حيث خلّفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتهم حليلة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -.

قال: فجاء بكتابه (فطرحه) إليها وأبلغها مقالته، ثمّ رجع إليه فأصيب بصفّين.

فقالت: ما نبعث إليه بأحدٍ إلاّ أفسده علينا.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة الخامسة

الدعاء الأول

(الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بِلاَ أَوّلٍ كانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الّذي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصارُ النّاظِرِين، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أوْهامُ الواصِفِين، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الخَلْقَ ابْتِداعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلى مَشِيَّتِه اخْتِراعاً ،.....).

(ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِراعاً)

الابتداع في اللغة: الاختراع لا على مثال، قال الجوهري: (أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال). وفي الأساس: (أخترع الله الأشياء: ابتدعها من غير سبب).

والاختراع: الشق، قال الجوهري: (اخترع كذا، أي: اشتقه).

وفي الاصطلاح: الايجاد لا عن مادة؛ والاختراع: الايجاد على على مثال.

وفي اصطلاح الحكماء: الابتداع هو الايجاد بلا مادة ومدة؛ والاختراع: هو الايجاد بلا مادة دون مدة.

والقدرة في اللغة: القوة على الشيء، أي: التمكين من ايجاد الشيء:

واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته، أو على مقدار ما يقتضيه مشيئته.

والخلق في الأصل مصدر بمعنى المساحة والتقدير، يقال: (لقت الأديم للسقاء): إذا قدرته له قبل القطع، ثم استعمل في ايجاد الشيء وانشائه على غير مثال سبق؛ فقيل: (خلق الله الأشياء خلقا) باعتبار الايجاد على وفق التقدير الذي أوجبته الحكمة؛

والمشيئة اسم من شاء ـ كالمعيشة من عاش ـ، وأصلها مشيئة ـ على وزن مفعله، بكسر العين ـ، استثقلت الكسرة على الياء، فنقلت إلى الساكن الصحيح قبلها ـ وهو الشين ـ، وبقيت الياء على حالها لمجانستها الحركة المنقولة منها ـ؛ فصارت مشيئة.

والمشيئة في الواجب ـ تعالى ـ؛ قيل: (بمعنى ترتب الغاية، بمعنى إن كل ما يمكن أن يترتب على القصد في غيره ـ تعالى ـ فهو مترتب على ذاته فقط من غير توسط القصد.

وقيل: (مشيئته ـ تعالى ـ عبارة عن تجلي الذات والعناية السابقة لايجاد المعدوم أو اعدام الموجود، فهي أعم من الارادة، إذ الارادة عبارة عن تجليه لايجاد المعدوم، فهي لا تتعلق دائما إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمرا بالحصول ووجوده).

صفوات بن يحيى، قال: قلت لأبي الحسن ـ عليه السلام ـ: (أخبرني عن الإرادة من الله ـ عز وجل ـ ومن الخلق؟ فقال:

«الأرادة من الملخوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله ــ عز وجل ـ فارادته احداثه لا غير ذلك، لانه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق، فارادة الله هي الفعل لا غير ذلك.

((يَقُولُ لَهُ، كُن فَيَكُونُ)).[1]

بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا بهمة ولا بفكر ولا كيفية لذلك، كما أنه بلا كيف»).

وعن الرضا عليه السلام قال:

«المشيئة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريد شائيا فليس بموحد».[2]

وقيل: ابتدع الخلق: أوجده من لا شيء، وبلا تقليد، ومحاكاة الخالق سابق إذ لا خالق سواه.

واخترعهم على مشيئته اختراعا: عطف تفسير على ابتدع الخلق.[3]

وقيل الابتداع: الخلق بلا سابقة وبلا تعلم من أحد، فإنه سبحانه خلق الخلق بدون أن يتعلم من خالق سابق (واخترعهم) الاختراع: الشق والكشف، وهذا أعم من الابتداع، وإن كان المفاد واحدا (على مشيئته اختراعا) أي جعلهم كما أراد في الكيفية والخصوصيات، فإن لكل إنسان مزايا خاصة ت من اللون وكيفية الجسم ومدة العمر وما أشبه.[4]

وقيل أيضا: الابتداع لغة الاختراع لا على مثال، والاختراع الشق، وفي الاصطلاح الاختراع الإحداث لا على مثال سبق، والابتداع الإحداث لا عن مادة، ولا ينافيه ما ورد، من أن النطقة إذا وقعت في الرحم قال الله تعالى للملائكة التصوير احضروا صور آبائه إلى آدم، وصوروا صورته مثل واحدة منها، لأن ذلك التصوير السابق أيضاً منه تعالى وبالآخرة تنتهي إلى آدم ولم يسبق له تصوير، وهذا هو أحد المعاني التي خطرت بالبال في تفسير الحديث المشهور.

وهو قوله عليه السلام:

«إن الله خلق آدم على صورته، لأنه ليس له أب حتى يخلقه على صورت».

ومن المعاني التي خطرت بالبال أيضاً، أن آدم لم يتخلق بالصور المختلفة، ككونه تارة نطفة، وأخرى علقة، وأخرى مضغة وعظاماً، بل خلق على هذه الصورة التي هو عليها، وقيل المراد الصورة المعنوية، وحينئذ فالضمير راجع إلى الله تعالى كقوله عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله».

وفي الحديث القدسي: «إذا تقرب عبدي إليّ بالنوافل كنت سمعه الذي به يسمع، ويده التي بها يبطش، ورجله التي بها يمشي، الحديث».

وروى أيضا محمد بن يعقوب بإسناده إلى محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام، عما يروون من أن الله خلق آدم على صورته، فقال هي صورة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها على باقي الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال بيتي، ونفخت فيه من روحي، ولو ثبت هذا لم يكن فيه إشكال، ونصب ابتداعاً واختراعاً على المفعول المطلق النوعي، أي شديداً عظيماً.[5]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٢) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد باقر الحسيني الشيرازي: ص٢٩٧ ـ ٣٠٢.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٤٨.

(٤) شرح الصحيفة السجادية، الإمام السيد محمد الشيرازي: ص١٦.

(٥) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٢٧ ـ ٢٨.



الحجاب وأثره

ما معنى الحجاب

الحجاب هو حكم شرعي، فرضته الشريعة الإسلامية على المرأة، وأوجبت عليها اتباعه والالتزام به، على الوجه الأكمل، حسب النصوص الشرعية المستقاة من الرسالة السماوية، (القرآن الكريم) والأحاديث النبوية الشريفة، والأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام.

لقد فرض الإسلام الحجاب على المرأة، ليقيها الفتنة والإغراء، وتصون نفسها وشرفها وتتحرز من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، الفسقة الذين لا يردعهم شرف ولا دين.

وقد نص القرآن الكريم على حجاب المرأة، وسترها بقوله سبحانه:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)).(١)

أما الحجاب في اللغة: هو الستر، وفي كتاب تاج العروس للزبيدي: باب حجب... حجبه... يحجبه (حجبا وحجابا) ستره، وأمرأة محجوبة، ومحجبة (للمبالغة) قد سترت بستر.. .

وضرب الله الحجاب على النساء، وذكر الزبيدي في حديث الصلاة: حتى توارت بالحجاب والمراد بالحجاب، هنا الأفق... أي حين غابت الشمس وراء الافق.

والحجاب كل ما حال بين شيئين: قال الشاعر:

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما

وقال سبحانه وتعالى :

((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).(٢)

وخلاصة معنى الآيتين الكريمتين، أن الله سبحانه وتعالى أمر المرأة المسلمة بلبس الخمار والحجاب، فسترها بما أمرها الله بستره عن نظر الرجال الأجانب، وإن كانوا من عشيرتها أو أقاربها إلا ما نص عليه التنزيل، ما هو إلا صيانة لعفتها وشرفها.

فالله سبحانه وتعالى، أمر المرأة بأوامر ترجع لمصلحتها الدنيوية فضلاً عن الأخروية، لتعيش في سعادة وهناء.

وعن مجمع البحرين . للطريحي: الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الواسع أوسع من الخمار(٣) ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها، وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل الجلباب هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء اوغيره ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن: أي يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن . أي أكتافهن.

إن الدين الإسلامي حافظ على القيم الأَخلاقية، بجميع صفاتها، فلم يدع مزية حسنة، إلا حرَّض الإنسان عليها وحثه على اتباعها.

جاء الإسلام، فأضاء الكون بنور تعاليمه، هادياً الى انتهاج سبيل الحق، رادعاً للنفس البشرية من نوازع الضلال حاثاً على اتباع الهدى، وسلوك طريق الرشاد.

ولما ظهر الإسلام، رأى أن الذين في قلوبهم مرض وهم أكثرية أبناء البشر قد عميت منهم البصائر، واستمالتهم الشهوات ناهيك عن وسوسة الشيطان... وضعف الإنسان.

ونحن نرى الإسلام بتشريعاته السامية، بعيداً عن كل الأهواء والميول، حريصاً على طهارة المرأة المسلمة.

لذلك أمرها بالحجاب لتظل محافظة على ما حباها الله، من هالة قدسية... ومنزلة رفيعة.. وأدب واحتشام.

وبما أن الفتاة لا تتمكن من الصمود أمام تيارات الفسق والاستهتار إلا إذا تهذبت تحت شعاع الأخلاق السامية، والعفة والطهارة التي جاء بها الإسلام، والتي وضع القرآن الكريم حداً لها.

وعندما نقرأ القرآن الكريم بتمعن وتفهم، نجد اكثر آياته تحرض المسلمات على الحجاب والحث عليه، والتشديد على

ه في صيانة المجتمع

الالتزام به حتى لا تقع المرأة المسلمة في مشاكل تكون عواقبها وخيمة.

لماذا يفرض الحجاب على المرأة فلا يكون مقيداً لحرية المرأة؟ وما هي العوامل التي دفعت الإسلام لفرض الحجاب على المرأة؟

الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى توضيح عدة أمور هامة:

الأول: بقاء المحبة بين الزوجين

أثبت علماء النفس أن المرأة المحجبة تحظى بمحبة زوجها لها، بعكس المرأة غير المحجبة، وهذه المحبة المستمرة ناشئة من حرص الإنسان بطبيعته على النيل من الأمور التي منع غيره منها؛ فتكون المرأة المحجبة أقرب لقلب الرجل ورغباته من المرأة غير المحجبة، والتي تبرز محاسنها للرجال، وتكون عرضة للاطلاع من قبل الجميع؛ فتفقد هذه المرأة جاذبيتها وحسنها في نظر الرجل مع مرور الزمن، خلافاً للمرأة المحجبة التي تخفي محاسنها عن الأجنبي، وتتقيد بالآداب الإسلامية أمام زوجها ومحارمها، حيث تبقى محافظة على استمرارية محبة الزوج واشتياقه وإعجابه بها دائماً وهذا ما قد أثبتته الإحصاءات.

الثاني: مساوئ الاختلاط بين الجنسين

حجاب النساء وحصانتهن يعطي حصانة للرجال أيضاً، لأن النساء إذا تحجبن سوف لا يبقين مجالاً لبعض الرجال المغرضين، للتطلع إلى محاسنهن، بل كل زوج لا يعرف غير زوجته، ولم يتطلع لسوى محاسن أهله، وهذه فائدة تعود على النساء أنفسهن أيضاً، إذ يضمن لهن ديمومة العلاقة الزوجية وسلامة أسرهن.

أما لو كانت المرأة أو الزوجة قد اختلطت بالرجال ولم تحافظ على عفتها وحجابها وهكذا الرجل إذا اختلط بالنساء المتبرجات؛ فستكون النتيجة من هذا الاختلاط ضعف الارتباط بين الزوجين، وبالتالي حدوث الطلاق بينهما وتدمير كيان الأسرة وهذا من أسباب ما نراه من كثرة الطلاق في العديد من الدول.

الثالث: الحجاب يصون المجتمع من الانحراف

إذا نظرنا بإمعان ودرسنا المجتمعات البشرية في هذا العالم، لرأينا أن المجتمع الذي تكون فيه المرأة محافظة على حجابها وشرفها، والرجل محافظاً فيه على عفته، يكون مجتمعاً نزيهاً، ونادراً ما تحدث فيه المفاسد الأخلاقية والاعتداء على الأعراض.

أما المجتمع الذي لم تلتزم فيه المرأة بحجابها ولم تحفظ عفتها، ولم يسيطر الرجل على شهواته، فيكون ذلك المجتمع متفسخاً وساقطاً وغير نزيه ومليئاً بالأمراض الخطيرة والشذوذ الجنسي بالرغم من التقدم والتطور الصناعي فيه.. فإذا كانت المرأة تبرز محاسنها ومفاتنها للآخرين فكيف تطلب بعد ذلك الحفاظ على كرامتها وشرفها؟!

إن الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم بخصوص الحجاب قد نزلت آمرة المسلمين بالأخذ بها، والعمل على طبقها، وليست الاوامر التي وردت في القرآن الكريم هي أوامر اختيارية بل هي إلزامية.

وها نحن نسمع الصرخات المتعالية.. ونتلقى الاحتجاجات المتتالية، على ما وصلت اليه المرأة من التهور، وعلى ما بلغه الرجال من فساد الاخلاق وما آلت اليه حالة المجتمع.

ثم نرى بعض المسلمين .. والمسلمات وقد قاموا يوآزر بعضهم بعضاً ،داعين إلى تمزيق حجاب المرأة وكسر قيودها وإباحة الاختلاط... والتشبه بالأوروبيين الأجانب.

ومما لا شك فيه ان أكثر الداعين إلى هذه الشرور ، ليس في نفوسهم حمية... أو نخوة... أو شرف.

ذابت المروءة العربية والإسلامية من صدور الناس، وتبخر الوجدان من قلوبهم.

لقد نسي هؤلاء ان دعوتهم إلى السفور... والاختلاط... تزج المرأة المسلمة إلى التدهور والغرق في بحر من الظلمات وهي لم تألف السباحة في مهاوي هذه الحياة الصاخبة التي يجرونها اليها.

نعم الإسلام أراد للمرأة كرامتها وعزتها وصونها لذلك أمرها بالحجاب.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) عن كتاب مجمع البحرين للطريحي: قوله: فليضربن بخمرهن. أي مقانعهن. جمع خمار وهي المقنعة، واختمرت المرأة أي لبست خمارها وغطت رأسها.

من أشرف الهدايا

كان (عمر باشا) ـ حاكم بغداد القديم ـ، يضطهد المسلمين الشيعة، ويجعجع بزوّار مرقد الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ويؤذيهم، وكان له والٍ على منطقة معروفة في العراق باسم (الهنّدية) واسم الوالي هو (يعقوب افندي)، لقد كان هذا الوالي يتألم لبشاعة الظلم والافراط في اضطهاد الشيعة، لذلك تاثّر قلبه وانحاز إلى التعاطف مع هؤلاء المظلومين.

ففكّر ماذا يستطيع أن يقدّمه من خدمة لهم، وأخيراً توصل على فكرة، وهي أن يطلب من عالم الشيعة الكبي أن ينصح (عمر باشا) لعله يتعظ ويرفع الظلم والأذى عن الشيعة، اقترح ذلك على الشيخ ملاّ دربندي رحمه الله فوافق على الفكرة وذهب إلى قصر الحاكم.

يقول الشيخ: دخلت ولم يكن الحاكم موجوداً، فجلست مع نائبه وهو مدير مكتبه أيضاً.

قلت له: جئتك لأهدي إليك أشرف الهدايا!

قال: وما هو؟

قلت: قل لي ما هو أفضل كتب الحديث عندكم؟

قال: كتاب صحيح البخاري.

فذكرتُ له نبذة عن حياة البخاري فارتاح الرجل لمعلومات وكلامي هذا، ثم أضفت إليه:

هل ترغب أن اقرأ لك بعض ما رواه البخاري في فضائل الحسين بن علي عليهما السلام؟

قال: تفضّل.

قلت له: هل ثواب حج يؤديه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم أم ثواب ضربة علي يوم الخندق؟

سكت نائب الحاكم، ولا يدري ماذا يقول!

فقلت روت عائشة ــ كما في صحيح البخاري ـ إن رسول الله كان نائما في بيتها، فدخل سبطه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وه صبي يومئذ، فتسلل إلى جدّه رسول الله بهدوء حتى التصق بصدره، فانتبه رسول الله واحتضنه بشدة، واخذ يشمّه ويقبّله.

فقالت عائشة: يا رسول الله.. ما قدر حبك لولدك هذا؟

قال رسول الله: (ألا تعلمي أنه قطعة من كبدي؟!).

ثم بكى رسولِ الله وهو يقبّل الحسين، فسألته عائشة: لمَ تبكي يا رسول الله؟

فقال لها: (إني أقبّل موضع السيوف والرماح التي تقطع جسد ولدي هذا).

قالت: أيُقتل؟

قال رسول الله: (نعم، يقتل عطشانا، ومن يزور قبره بعد استشهاده، فله مثل ثواب حجّ أنا أدّيته).

فسألته عائشة باستغراب: له مثل ثواب حجك يا رسول الله؟!

قال: (بل ثواب حجّين اثنين أنا أديتهما!).

فقالت: عائشة مستغربة: ثواب حجّين اثنين؟!

قال: بل ثواب أربعة...

فكلما أخذت عائشة تزداد استغراباً وتعجباً من هذا الأجر والثواب العظيم لزائر قبر الحسين السبط الشهيد، كلما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذكر ثواباً أكثر حتى وصل إلى ثواب تسعين حجة وعمرة يقوم بهما رسول الله بنفسه!

هنا قال نائب الحاكم للشيخ الدربندي: مولانا.. إن رسول الله لم يكذب ولم يبالغ، فكيف تعدّدتِ إجاباته؟ فمن ثواب حج واحد إلى تسعين حجة وعمرة، أليست مبالغة؟!

فقال له الشيخ: إن هذه الدرجات في الثواب تتبع مراتب الزوار، من حيث مستوى معرفتكم بمكانة الحسين وبحقه، ومن حيث بعد وقرب المكان الذي جاء منه الزائر ومدى العناء وا لمشقة ا لتي تحملها في سفره على كربلاء لزيارة مرقد الحسين.

وما كان من الرجل إلا أن قام من مجلسه وأخذ يقبل الشيخ، ودموعه تجري وهو يقول: جزاك الله خيرا.

وفي ختام هذا الحوار، قال الشيخ دربندي لنائب الحاكم، بأن هناك من يتعرض لزوار الحسين وشيعة أهل البيت بالأذى والظلم، وهذا شيء لا يرضي الله تعالى، وسوف يحاسب الله الظلمة يوم القيامة حساباً عسيراً.

فقال الرجل: سوف أسدر أمراً من هذه الساعة بعدم التعرّض لزوار قبر الحسين عليه السلام.





الطاقة

الحلقة الثالثة

مصادر الطاقة الطبيعية

طاقة البترول

البترول عبارة عن سائل كثيف، قابل للاشتعال، بني غامق أو بني مخضر، يوجد في الطبقة العليا من القشرة الأرضية. وأحيانا يسمى نافثا، من اللغة الفارسية («نافت» أو «نافاتا» والتي تعني قابليته للسريان). وهو يتكون من خليط معقد من الهيدروكربونات، وخاصة من سلسلة ألكان، ولكنه يختلف في مظهره وتركيبه ونقاوته بشدة من مكان لأخر. وهو مصدر من مصادر الطاقة الأولية الهام للغاية (حسب إحصائيات الطاقة في العالم). البترول هو المادة الخام لعديد من المنتجات الكيميائية، اللدائن.(٢)

طاقة الوقود

الوقود له أنواع مختلفة من أهمها الوقود الأحفوري وهو الذي يشمل كل من النفط والفحم والغاز، والذي أستخدم بإسراف منذ القرن الماضي ولا يزال يستخدم بنفس الإسراف مع ارتفاع أسعاره يوما بعد يوم، مع أضراره الشديدة للبيئة. ومثله وقود السجيل وهو مثل النفط يكون مخلوط مع الرمال.

من أنواع الوقود الأخرى هو الوقود الخشبي والذي يغطي استخدامه حوالي ٦٪ من الطاقة الأولية العالمية، وهناك الوقود المستخرج من النفايات الحيوانية أو المياه الثقيلة للمجاري، حيث بالمستطاع استخدام هذه النفايات في توليد الطاقة بالاعتماد عليها بعد عمليات التخمير، وتستخدم في العديد من دول العالم معالجة المياه الثقيلة للاستفادة من الغازات المنبعثة لأغراض توفير الطاقة.

من الطرق الحديثة والنظيفة في توفير الوقود النظيف يمكن أن يكون من نباتات الأشجار سريعة النمو، أو بعض الحبوب أو الزيوت النباتية أو المخلفات الزراعية أو بقايا قصب سكر، أمكن تحويل بعض منتجات السكر إلى كحول لاستخدامه كوقود للسيارات وكذلك زيت النخيل. يتميز هذا النوع من الوقود بأنه يقلل من التلوث، حيث لا حاجة هناك لاستعمال الرصاص في مثل هذا النوع من الوقود لرفع أوكتان الوقود كما هو الحال في البنزين المستحصل عليه من النفط الأحفوري، ومن ثم فإنه بنزين خال من الرصاص.

هناك الوقود النووي وتحطه الكثير من المشاكل والقوانين الضابطة والتي قد لا تخلو من ازدواجية في المعايير وإجحاف بالسماح لاستخدامها على البعض، إضافة لخطورة استخدامها وتأثيرها السيئ على البيئة.(٢)

---

(١)الإكتشافات والإختراعات

(٢)موقع ويكيبيديا